

أهل البيت (ع) .. قيمة إنسانية وإسلامية كبرى



يمثل أهل البيت (ع) في المفهوم الإسلامي قيمة إنسانية وإسلامية كبرى، وتسمو هذه القيمة في الوجودان الإسلامي - الشيعي إلى مرتبة القداسة المستمدّة من مقامهم المعصوم وتكريم الله سبحانه وتعالى لهم، والذي تجلّى في تحملهم أمانة الحفاظ على الدين والاستقامة على نهج الرسول (ص)، حيث قال (ص): "إِنَّمَا تاركُ فِيکُمُ الْثَّقَلَيْنِ، كِتَابَ اللهِ وَعَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكُتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوْا بَعْدَ أَبْدَاهُ، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقاْ حَتَّىٰ يَرْدَا عَلَيْهِمَا الْحَوْزَ".

أهل البيت (ع) مدرسة مضيئة ونجوم متألقة في سماء الإسلام العظيم، فهم القدوة الشامخة التي اقتدت برسول الله (ص)، نهلوا من علمه، ونشأوا في بيته، وساروا على نهجه... يدعون إلى كتاب الله والاعتصام بسند نبيه (ص)، ويضربون في سلوكهم الأمثال السامية للأمة، يدعون إلى الحق ولا يحيدون عنه قيد أنملة، إنّهم كما يوضح لنا الحديث الشريف قوله تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِكُلِّ مَا حَمَلَ الْقُرْآنُ مِنْ مَفَاهِيمٍ وَقِيمٍ وَلَذَا نَزَّلَ فِيهِمُ الْقُرْآنَ صَرِيحًا": (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَبْذُلَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب / 33).

وبنرول هذه الآية المباركة تَحدّد مسارٌ ومحورٌ وتجاهٌ داخل الحياة الإسلامية، وجّه القرآن الأنطـارـ إلـيـهـ، وسـلطـ الأـضـواءـ عـلـىـ مـوـقـعـهـ الطـلـائـيـ الرـائـدـ، وأـبـرـزـ دـوـرـ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ)ـ فـيـ حـيـاـةـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـخـصـّـهـمـ بـإـرـادـةـ التـطـهـيرـ المـؤـكـّـدـ منـ لـدـنـ الـحـكـيمـ الـخـبـيرـ.

لقد حدّدت هذه الآيات مركزاً لحركة التاريخ بعد رسول ﷺ (ص) وفق العُرُف والمنطق الإسلامي، بعد أن وهب ﷺ هذه الصفة المباركة صفة التطهير من الذنوب والمعاصي والآثام، فقد ثبت القرآن لهم أفضل درجات التفضيل، وأعلى مراتب الأهلية في الاقتداء والقيادة والريادة في الحياة الإسلامية التي ترى وفق فلسفتها العامّة في الحياة: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُقْبَلُم) (الحجرات/ 13).

إنَّ مَن يستقرئ القرآن الكريم والسُّنْنَة المطهّرة يجد لأهل البيت (ع) مقاماً خاصاً ومواعاً متميّزاً، تحدّث عنه أئمة هذه الأُمّة، وعلماؤها، ومفسّروها، ورواتها، وأصحاب السُّنْنَة، ومؤرّخوها، وفقهاوتها، وعدادها العارفون فيها من كلّ الاتجاهات والمذاهب.

إنَّ مَن يدرس تاريخ أهل البيت (ع) وسيرتهم العلمية يعرف الدور الظليعي والمهمّة الكبرى التي نهض بها أئمة أهل البيت (ع).. فقد عملوا وكافحوا من أجل الحفاظ على نقاء الشريعة والذّود عن أصلـةـ العـقـيـدةـ الـإـسـلـامـيـةـ، فـصـحـّـواـ بـأـنـسـفـهـمـ وـجـاهـدوـاـ مـنـ أـجـلـ تـطـبـيقـ تـلـكـ الـمـبـادـيـعـ السـامـيـةـ وـقـيـادـةـ الـأـمـةـ علىـ هـدـيـهـاـ ..

وفي كلّ يوم يبرز تاريخ أهل البيت (ع) المجيد حيّاً معطاءً، يتفاعل مع وجدان الأُمّة ووعيها، ويغنـيـ مـسـيرـتهاـ، وـيرـفـدـ حـضـارـتهاـ، إنَّ أـهـلـ الـبـيـتـ (عـ)ـ هـمـ الـمـحـورـ وـالـإـطـارـ الـجـامـعـ لـوـحـدـةـ الـأـمـةـ وـجـمـعـ شـملـهـاـ ..

وتشهد سيرة الأئمة الأطهار (ع) أـرـهـمـ كـانـواـ الـقـرـآنـ النـاطـقـ، فـحـمـلـ قـولـهـمـ وـفـعـلـهـمـ وـتـقـرـيرـهـمـ مـعـاـنـيـ كبيرةـ وـدـلـالـاتـ غـنـيـةـ وـإـيـحـاءـاتـ خـصـيـةـ تـبـقـىـ مـاـدـاـمـ الزـمـنـ حـقـلاـ وـاسـعاـ يـذـخـرـ بـكـنـوزـ عـظـيـمةـ، الـأـمـرـ الـذـيـ يـلـقـيـ علىـ عـاتـقـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـفـكـرـينـ مـسـؤـلـيـةـ دـائـمـةـ لـاـسـتـثـمـارـهـاـ فـيـ تـكـوـينـ الرـؤـيـةـ وـتـصـوـيـبـ الـمـوـقـفـ وـنـصـبـ الـمـعـايـرـ الـحـاكـمـةـ فـيـ مـيـزانـ التـقـوـيـمـ وـالتـقـيـيمـ.